

زئبق عفيف البري

الناصرية  
في  
جملة الاستعمار الحديث

دار النشر والتوزيع  
دمشق

الطبعة الاولى - ١٩٦٣  
جميع الحقوق محفوظة

## مقدمة

يختلف الاستعمار الحديث عن الاستعمار القديم اختلافا شديدا  
كما تختلف طرق النضال ضد الاستعمار القديم عن طرقها ضد الحديث  
بالشكل والمحتوى . فقد كان الاستعمار القديم يؤلف جملة عالمية من  
المستعمرين الذين كانوا يمارسون النهب الاستعماري عن طريق احتلال  
العالم بجيوشهم الاستعمارية . بينما يؤلف الاستعمار الحديث جملة  
عالمية من المستعمرين الذين يمارسون النهب الاستعماري بوسائل  
تتناسب مع ظروف الاستقلال السياسي للبلاد المتخلفة ، البلاد التي  
كانت تشكل الى وقت قريب مستعمرات الاستعمار القديم . ومن  
الطبعي لذلك ان يختلف النضال بالشكل وبالمحتوى ضد الاستعمار  
الحديث عما كان عليه ضد جيوش الاحتلال . الا ان حداثة اساليب  
المستعمرين الجدد ، وشدة تعقد هذه الاساليب ، مع بقاء الآثار المادية  
القطيعة التي اورثها الاستعمار القديم للبلاد المتخلفة ، كل هذا وغيره  
مما لا مجال لشرحه هنا يوحي بتصورات خاطئة الى الكثيرين من أبناء  
الشعوب التي ذاقت وتلوق الامرين من المستعمرين .

ان الدجالين الانتهازيين في الصفوف الوطنية العربية كثيرا  
ما يسترون سكوتهم هذه الايام ، عن الاستعمار الحديث بتركيز الحملة  
فقط على المستعمرين القدماء . وهم بهذا يتناسون عن عمد ان الخطر

الاساسي ، بل الخطر الوحيد ، على استقلال بلادنا وعلى ثرواتها الهائلة يأتي من الاستعمار الحديث . انهم يفعلون عن عمد انييار الاستعمار القديم ، او على الاقل يتناسون ان هذا الاستعمار يلفظ آخر انفاسه . وهم يضللون الناس فلا يوضحون لهم ان المستعمرين القداماء ، كالانجليز والفرنسيين والامان الغربيين وغيرهم ، اصبحوا الآن اجزاء متممة في جملة استعمار حديث تنزعه اميركا ، وان كان هؤلاء المستعمرون يعيشون في جو عقلية قديمة لا تتناسب مع ظروف العصر الراهن ، فيتناقضون لذلك مع زعيمهم الاستعمار الاميركي ، الذي يعي ويدرك تمام الادراك التغيرات التي طرأت على العالم . فالدجالون الانتهازيون يفصلون بين المستعمرين ويوجهون جهود الجماهير ضد بعض الاستعمار خدمة لبعضه الآخر ، وعلى الاغلب خدمة لأكبرهم الذي هو اميركا . مع أن النضال ضد الاستعمار الحديث يعني بالبداية النضال ضد جميع المستعمرين المشتركين في تكوين جملة هذا الاستعمار . وهو على الاخص يجب ان يوجه ضد نهب المستعمرين ومشاريعهم السوداء التي يخططون لها لابقاء سيطرتهم على العالم المتخلف .

ان الناصرية الماهرة في التستر على الاستعمار الحديث هي مرض الثورة العربية الحديثة ضد هذا الاستعمار ، وهي مرض خطير مميت . ولقاومة هذا الخطر المميت وجب علينا دراسته ودراسة أسبابه ، وليس فقط تعداد ما ارتكبه من جرائم وآثام بحق أمنا . ذلك لان الكثيرين من أبناء شعبنا آمنوا بالشعارات الناصرية الفارغة عن حسنة ، فلم ينتبهوا الى الدجل الناصري وظنوا أن تلك الشعارات هي شعارات حقيقية . وفي مثل هذه الحالة لا يفيد تعداد جرائم الناصرية ، وقطعا لا يفيد شتمها ، وانما الذي يفيد هو وضعها في مكانها الحقيقي كخادمة حديثة لاستعمار حديث . فشعبنا يكره الاستعمار ، كل استعمار ، ولا يغفر لخدم الاستعمار عندما يفتضح امرهم . لذلك يجب

فضح امر الناصرية بالدراسة لا بالشتم . وان من يناضل ضدها بشتها فقط ، دون فضحها وتعريتها ، انما يفعل مثلها عندما تشتم هي جزءاً من الاستعمار وتنسى فضحه كله وفضح خطئه اللثيمة .

وبعد ، فان هذا البحث محاولة لدراسة الناصرية في مكانها الذي اعتقدت انه مكانها الصحيح . وكان لا بد لي ، لايضاح الامور ، من ان اعود الى الاستعمار فاحاول ابراز بعض ملامحه بشكل خاطف ، بشكل يهدف الى التنبيه والتذكير ، ولا يهدف الى الشرح والاطناب . وكان لا بد لي من ان اضرب بعض الامثلة عن « فعال » هذا الاستعمار في اقطار بعيدة او قريبة منا ، وفي كثير من الاحيان ، في اقطارنا العربية . ذلك لان ما يحدث على كوكبنا الآن لا يمكن تجزيته على حسب المناطق ، ولا بد من النظر اليه ككل متكامل مترابط . ان ما يحدث في الكونغو مثلا ، بالاضافة الى انه يبين لنا ناحية من نواحي الاستعمار المعقد فيسهل علينا فهم طبيعة هذا الاستعمار ، لا يتفصل عما يحدث في بلادنا العربية ما دام الاستعمار واحداً في كل بقعة من بقاع الارض وما دامت الشعوب تخوض في صف واحد معركة واحدة ضد الاستعمار العالمي .

ان اسرائيل قاعدة الاستعمار الحديث في منطقتنا ، تسنأثر بانتباهنا في نضالنا ضد المستعمرين وضد أعوانهم . وهي أيضا تشكل في الدعايات الاستعمارية موضوع مغالطات سمجة يستفيد منها الانتهازيون والرجعيون من أبناء جلدتنا في خداعهم ودجلهم وكذبهم . وطالما حاول الاستعمار والدجالون ايهامنا « بنفوذ الصهاينة وجبروتهم » الذي يسير الدول العظمى « لخدمة اسرائيل » . وكان نشاط الاستعماريين يقتصر على تقديم « الخدمات » ! . وكان روكفلر ، هذا الغول البترولي ، يتسلى فقط « بالعطف » على الصهاينة وليست لديه مشاغل اخرى اكثر أهمية من هذه « الانفعالات النفسية » الفارغة ، ليست لديه مثلا مشاغله

في « سد شهيته » البالغة لبترونا • فتجد لذلك ، بكل أسف ، الادب  
الديبلوماسي العربي ملآن بعبارات الادب الرومانطيسي : بخيبات  
الامل ، بالصدمة ، بالعدل الخ • • • فهناك مثلا من يقول لك أن  
الدعاية الصهيونية في أوروبا وأميركا ( ولا يقول لك في بلاد الاستعمار  
تسترا على الاستعمار ) قوية ، أي أن وجود اسرائيل هو مجرد نتيجة  
لدعاية ، ويقول لك ان علينا أن نقوم بالدعاية ، مثل اسرائيل ، كي  
نكسب « عطفهم » • • • وتجد منا من يكتب الى كندي او ايزنهور  
فيقول له شيئا شبيها بما قاله عبد الناصر في كتابه الذي أرسله الى  
الرئيس الاميركي والذي نشرته الاهرام في ٢١ ايلول ١٩٦٢ :

« كانت الصدمة الكبرى في العلاقات العربية  
الاميركية هي غلبة اعتبارات السياسة المحلية الاميركية  
على اعتبارات العدل الاميركي ( كذا : ٠٠ ) والمصلحة  
الاميركية في تقرير موقفهم من الظروف التي أهدر فيها  
الحق العربي في فلسطين اهدارا كاملا • • • »

وكان أميركا بحسب منطق عبد الناصر الآنف الذكر ليست لها  
مصالح بترولية أكبر من « الاعتبار السياسية المحلية » ، وكان  
اسرائيل ليست قاعدة لحماية هذه المصالح •

اننا لا نستهن أبدا بمفعول الدعاية لقضايانا في العالم ، الا اننا  
نعتقد ان بناء الدعاية يقوم على أساس نضعه في بلادنا أولا • ان كاسترو  
مثلا تمكن من اثارة انتباه الشعب الاميركي ، فغطى على جبال الدعايات  
الاستعمارية الاميركية التي تعمل في حشو ادمغة الاميركيين بالضلال ،  
أكثر بكثير من أي دجال تافه من ( دجاجلتنا ) « الباكين المستجدين » •

لقد كان علي أن أحاول وضع الحركة الصهيونية في مكانها  
التاريخي الصحيح كعميلة للاستعمار منذ نشأتها ، وأن أحاول بيان

تبعية تطور الحركة الصهيونية لتطور الاستعمار وتقلباته التاريخية .  
 وكان هذا ، على ما اعتقدت ، مفيدا في فضح الاستعمار الذي يتظاهر  
 بالبراءة من جريمته في سلب العرب قطعة غالية من ارضهم ، والذي  
 يجهد في الفصل بين نهبه لثرواتنا وبين قيام اسرائيل . وكان هذا  
 أيضا ، على ما اعتقدت ، مفيدا في فضح الناصرية التي تتظاهر بالعداء  
 لاسرائيل في الوقت الذي تخنع فيه للمستعمرين أسياد اسرائيل وتنفذ  
 لهم مخططاتهم في ضرب كل حركة شريفة في وطننا ، وفي نهب ثرواتنا ،  
 وفي تأخيرنا عن التقدم ، تماما كما تفعل اسرائيل .

\* \* \*

انتي لا أكنم أبدا كرهى للاستعمار والمستعمرين ، الكره الذي  
 يملأ جوارحي كما يملأ جوارح كل انسان شريف من أفراد شعبنا ، وما  
 أكثر الناس الشرفاء في هذا الشعب . فما العيب في هذا الكره عندما  
 يحاول الانسان دراسة الاستعمار ودراسة أعوانه وخدمه ؟ اننا لا نكره  
 الا بعد التجربة التي قاسينا منها ما قاسينا ، فلا نكره اذن عن جهل  
 وتعصب . ونحن لا نكره ايضا الا المستعمرين في الوقت الذي نحب  
 فيه ونحترم الناس الطيبين في بلاد المستعمرين أنفسهم . نعم اننا  
 نحب ونحترم كل أولئك الذين ساهموا ويساهمون في بناء القيم المادية  
 والروحية العظيمة في أوروبا وفي اميركا ونعتبرهم اخوة لنا . بل ان  
 محبتنا لهؤلاء تزيد من كرهنا للآخرين الذين يستغلون كل ما يبدعه  
 الانسان في بلادهم من امكانيات رائعة ليحولوه الى وسائل لقمهرنا وقهر  
 شعوبهم . فنحن نميز جيدا بين المغالين من آل روكفلر ودوبون ومورغن  
 ورتشيلد وكروب وو . . . وبين الآخرين الذين ساهموا بعملهم وعبقريتهم ،  
 في الحقول والمعامل والمخابر والمعاهد ، فانتجوا محيطات من القيم المادية  
 ومحيطات من الروائع الفكرية . نعم اننا نميز جيدا بين الحسن والقيبح

في تلك البلاد ، ولا نميز فقط بعقولنا وإنما بعواطفنا أيضا ، فنحب  
ونكره . والدراسة لعمرى على هذا الاساس أصح بكثير من الدراسة  
« الباردة » شكلا و « الحارة » كثيرا ، محتوى واتجاها ، في « مجلة »  
من هم أصل بلاتنا .

عفيف البزري

كانون اول ١٩٦٢